سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

Collection des Livres Académiques de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales

ISSN : 2588-1590 ردمد

الكتاب السابع والعشرون (27)

بحوث ودراسات تاريخية

أعمال مهداة للأستاذ: د. محمد مزيان وشن

إعداد و تنسيق: د. عبد الغني حروز
تقديم: د. عبد السلام همال

بحوث ودراسات تاريخية
أعمال مهداة للأستاذ: د. محمد مزيان وشن
27
إعداد وتنسيق
د. عبد الغني حروز

سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

Collection des Livres Académiques de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales

ISSN : 2588-1590 ردمد

المؤرخ الباحث والأستاذ الجامعي الدكتور مزيان وشن (1953-2017) توفي عن عمر يناهز ٦٤ سنة بعد المعاناة مع المرض الذي لازمه الفراش الفقيد من الوجوه الثقافية البارزة بعاصمة البيبان حيث شغل مناصب عدة في قطاع التفتيش قبل أن يزاول التدريس في قسم التاريخ في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، منها رئيس لمصلحة الموظفين بمديرية التربية و رئيس لمصلحة التكوين و التفتيش وهو من الوجوه الثقافية والوطنية البارزة في مجال البحث و التاريخ و ألقى طوال حياته عدة محاضرات في مناسبات وطنية و دولية كما نشط عدة حصص إذاعية في ميدانه على أمواج الإذاعتين المحليتين لبرج بوعريريج و المسيلة. كما انه لم يتوقف طوال حياته عن البحث و الكتابة حيث ترك عدة مؤلفات في التاريخ أهمها "برج بوعريريج عبر العصور" و كتاب "مجانة عاصمة المقرانيين" بالإضافة إلى مؤلف "الرسالة في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني" كما انتهى من تأليف كتاب عنوانه "مخطوط المصطلحات" والذي منعه المرض من طبعه بعد الانتهاء من التأليف، رحم الله الفقيد ، إنا لله و إنا إليه راجعون.

ردمك: 978-9931-670-16-2

9 789931 670162

الإيداع القانوني: جانفي 2018

سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

Collection des Livres Académiques de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales

ردمد: ISSN: 2588-1590

الكتاب السابع والعشرون (27)

بحوث و دراسات تاريخية

أعمال مهداة للأستاذ .د. محمد مزيان وشن

إعداد و تنسيق: الدكتور عبد الغني حروز

تقديم :الدكتور عبد السلام همال

مراجعة و تقرير الأستاذين:

د. عبد العزيز شاكي أ. عامر خير

ردمك: 978-9931-670-16-2

الإيداع القانوني: جانفي 2018

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 1439هـ/2018 م

شروط النشر بالسلسلة:

1-سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، سلسلة علمية أكاديمية بحتة. ولذا لا تنشر إلا الكتب التي تتوفر على الصبغة العلمية ذات الطابع الأكاديمي البحت. تأسست سنة 1438 هـ / 2017 م.

2- تفتح السلسلة لنشر كتب أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكل ما يتقاطع مع تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ولو كانت من تأليف أساتذة من كليات أخرى بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة

3-.لا تنشر الكلية في سلسلتها الأكاديمية هذه الكتب المرتبطة بعقود سارية المفعول مع أي مطبعة أو دار نشر أخرى وطنية كانت أو دولية. والمؤلف وحده مسؤول عن ذلك ويتحمل التبعات القانونية كاملة في حال حدوث العكس.

4-تخضع كتب السلسلة قبل الموافقة على نشرها إلى الخبرة العلمية الأكاديمية، حيث يعرض الكتاب على 03 خبراء في التخصص، يعينهم المشرف عن السلسلة. الذي بإمكانه أن يطلب التعديل من المؤلف وفق ما تراه تقارير الخبراء.

5-اللغات المعتمدة للنشر بالسلسلة هي: العربية، الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، التركية، الإسبانية.

6-غلاف الكتاب من اختيار المؤلف بعد الموافقة على نشر الكتاب بالسلسلة. مع احترام الخصائص العامة للسلسلة باعتبارها سلسلة موحدة.

7-ما ينشر في السلسلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الكلية، وإنما هي أفكار ملك لصاحبها في إطار الحرية والملكية الفكرية، وقرارات الخبراء المختصين فاصلة.

8-المشرف عن السلسلة الدكتور مصطفى عبيد.

أعضاء لجنة التنسيق والتحكيم العلمي للكتاب:

اللقب و الاسم	الجامعة الأصلية
الأستاذ الدكتور مفتاح خلفات	جامعة محمد بوضياف بالمسسيلة
الأستاذ الدكتور الطاهر بونابي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الدكتور مرزوق بتة	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الدكتور عبد الغني حروز	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الدكتور عبد العزيز شاكي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الدكتور محمد عيساوي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الدكتور عبد الحليم سرحان	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الدكتور مراد لكحل	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ مصطفى بن الحسين	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ لخضر بولطيف	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ إسماعيل بركات	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ عامر خير	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ عبد الرحمن نويقة	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ جمال بن مجدوب	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذ محمد الصديق محمودي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
الأستاذة خديجة ثلجوم	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

ملاحظة هامة: لا تتحمل الهيئة الاستشارية للكتاب أي إخلال بشروط الأمانة العلمية، والآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هذه الهيئة.

الإهداء

قال الله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾

سورة الرحمن.الآية 25-26.

...إلى روح الفقيد المرحوم الدكتور

محمد مزيان وشن...

تقديم الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،ثم أما بعد:

قال الفلاسفة قديما أن الإنسان مدني بطبعه، مقولة أكدتها تجارب الحياة فعاش الإنسان ضمن مجموعات، ثم تطورت فأصبحت تشكل مجتمعات عبر الزمن، وابرز مما يكون هذه المجتمعات البناء الاجتماعي، هذا الأخير الذي يكتسب حيويته من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية. ومن أبرز موجهات ومحددات العلاقات الاجتماعية نجد الثقافة في أبرز عناصرها الأساسية ألا وهي القيم، وقد جبل بنو الإنسان على القيم الحسنة كالفضيلة، التسامح، فعل الخير، التضامن، الإخاء، الصداقة، الوفاء... فبمثل هذه القيم تبنى الحياة وتستقر وتزدهر المجتمعات، وتهنأ الجماعات، ويسعد الأفراد حيث ينطلقون من أهداف وفق رؤى واضحة ويصلون إلى غاياتهم المنشودة.

وفي ظل سيرورة الحياة الاجتماعية يخضع الأفراد لجملة النواميس الكونية انطلاقا من مصدرها الرباني، ومن ضمن هذه السنن الكونية نجد ما جاء في قوله تعالى:﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام﴾، وفي قوله جل شأنه: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ حيث ينتقل الفرد من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى، ومضى قدر الله عز وجل أن إذا جاء أجل الإنسان فانه لا يستقدم ساعة ولا يستأخر ، ففي الأول من شهر فيفري سنة ألفين وسبعة عشر انتقل إلى رحمة الله عز وجل أخونا الأستاذ المرحوم محمد مزيان وشن ، اثر المرض الذي أبقاه طريح الفراش لما يقارب السنة بمنزله الكائن بولاية برج بوعريريج، حيث كان يدرس المرحوم بجامعة المجاهد البطل محمد بوضياف –رحمه الله– المسيلة ، و ندعوا الله الرحمن الرحيم أن يرحمه و يتقبله في الشهداء والصالحين انه سميع مجيب.

و وفاء ولو بالنزر اليسير وبالفعل القليل تجاه أخينا وصديقنا الراحل الأستاذ محمد مزيان وشن أن نستذكره ونذكر أهله وعائلته وأقاربه وكل محبيه وأصدقائه وزملائه وكل من عرفه، أننا لم

نفقد محمد مزيان وشن ، بل سيظل حيا، كيف لا وقد ترك عملا علميا أكاديميا سيخلده على مر الزمن، درس و أطر وكون بل ألف طلابا ورجالا بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة ، زرع جميلا ولن يضيع جميل أينما زرع.

في مستهل حديثي هذا عن صديقي الغالي المرحوم الأستاذ الدكتور 'محمد مزيان وشن ' طيب الله ثراه و ألحقه بفسيح جنانه ، يطيب لي أن أشير إلى المناسبة التي تعرفت فيها على هذا الرجل الطيب الأصيل ،و الأستاذ القدير . أتذكر جيدا تلك الجلسة التي ضمت مجموعة من الأساتذة في مكتب رئيس قسم التاريخ بجامعة المسيلة ، الأستاذ الدكتور محمد يعيش ، أطال الله عمره ، و أعزه و أيده ، لا أتذكر بالضبط تاريخ هذه الجلسة ، ولكن أعتقد أنها جرت بعد سنوات قليلة من تدشين قسم التاريخ ، تطرقنا في تلك الجلسة إلى عدة نقاط لها علاقة بقسم التاريخ في ذلك الوقت . ومن بين القضايا التي دار الحديث عنها قضية الأساتذة الجدد الذين سيلتحقون بالقسم في المستقبل القريب ، وكان محمد مزيان وشن من بينهم و الظاهر أن رئيس القسم كان يعرف محمد مزيان ، فعقب قائـــلا: "محمد مزيان متمكن ومتقدم في العمر " .

الكلمات القليلة التي خرجت من فم رئيس القسم لفتت انتباهي ، لم أعلق ، و لكنني قلت في نفسي ، سأنتظر و أرى ، وأسمع و أصدر حكما في نهاية الأمر ، و بالفعل التحق الأستاذ محمد مزيان بالقسم ، استرعى انتباهي ثقته العالية في نفسه ، وتعامله السلس مع الجميع تقريبـــا ، تمكن الأستاذ من فرض نفسه منذ البداية بجده و نشاطه و كفاءته العلمية و احترامه لنفسه و لغيره .جمعتني صداقة عميقة مع الدكتور المغفور له بإذن الله ، فهناك نقاط نشترك فيها ، كالتقدم في السن و الاهتمام المشترك بتاريخ العصر الوسيط الإسلامي ، و زهدنا في المناصب ، وسُخطنا على الوضع العام ، وعلى منزلة الجامعة وأخيرا معاناتنا من مرض السكـــــر .

كان يحدثني عن وظيفته في الإدارة ، قبل التحاقه بالقسم وعن الأسرة الكريمة قال لي مرة أنه يشعر بالراحة بعد أن زوج أبناءه . لاحظت أن الأستاذ يفرط في استهلاك السكر أثناء تناوله للقهوة أو الشاي ، و نبهته مرات عديدة و لكن دون جدوى ، و تشاءمت من وضعه الصحي ، بذل جهدا معتبرا أثناء إعداده للدكتوراه ،وكان يشتكي من متا عبه الصحية وبالفعل بدأت آثار

المرض تظهر بوضوح على وجه الأستاذ و على عينيه و على حركاته و بدا شاحبا و متعبا و قل نشاطه قبل رحيله بمدة غير أن إصراره و تماسكه كان كبيرا .

وبالرغم من المرض الشديد رفض أن يستسلم ، نصحه المقربون منه و ترجوه أن يتقاعد و يخلد للراحة ،لأنه مريض و تجاوز السن القانوني ،ولكنه رفض النصائح فكان يقود سيارته بنفسه من البرج إلى المسيلة في طريق وعر لا يرحم ، قال لي مرة أنه كان يقود السيارة ولا يشاهد الطريق كما ينبغي ،وأنه لا يصدق كيف وصل سالما ولم يتعرض لمكروه .

هذا الإصرار مرده إلى حب محمد مزيان رحمه الله للتدريس وتقديم كل معارفه للطلبة والطالبات وأنا شاهد على هذا وأتعجب من أمره و لا أجد ما أقول له ، وأدركت أنه ينتمي إلى جيل صعب المراس لا يخاف ويتحدى الصعاب والمشاكل ، وحتى بعد أن عجز عن السياقة وسلم أمرها إلى أولاده ، كان يأتي إلى الجامعة ويلتقي بطلبته في قاعات التدريس ،ويشرف على مذكرات تخرجهم ويناقش مع الزملاء ، وظل على هذا الوضع إلى أن عجز تماما ، والدكتور محمود بوكسيبة كان قريبا منه في تلك اللحظات الصعبة وله ما يقول .

عملك المستمر يا محمد مزيان وإصرارك على توجيه و إرشاد أبناء وبنات المسلمين والمسلمات رغم المرض والتعب لن يضع عند الله تعالى ،ونسأله أن يدخلك جناته الفسيحة .

و عليه و وفاءاً من بعض الأساتذة و المثقفين الجزائريين و نيابة عن زملائهم الذين عرفوا الراحل وشن محمد مزيان، حملنا على عاتقنا تأليف هذا الكتاب تخليدا لروح الفقيد، واستذكارا لمسيرته الحياتية بين أفراد أسرته وإخوانه وأصدقائه، ندعوا الله جل شأنه أن يكون هذا العمل صدقة جارية، و لبنة علمية تثري المكتبة الجزائرية والمكتبة العربية، ومرجعا علميا مفيدا لطلابنا الأعزاء ولكل الباحثين الجزائريين والعرب عامة.

سيما وأن الكتاب اشتمل مداخلات علمية خطتها أقلام عرف أصحابها بالدقة والنزاهة العلمية، جاءت هذه المداخلات متنوعة بتنوع المجالات والاختصاصات والاهتمامات العلمية، ومتنوع بتنوع جغرافية أصحابها، حيث شارك في هذا الكتاب نخبة من الأساتذة والباحثين

الجزائريين من جامعاتنا الوطنية العامرة بالعلم والمعرفة، كما شارك بمداخلاتهم العلمية أشقاؤنا من بلاد الرافدين.

نسجت المداخلات ضمن محاور متنوعة، وأملنا أن يجد كل باحث وقارئ ضالته ضمن هذا المؤلف، وأُقر في الأخير أن المجهود الكبير في استقبال المداخلات، وتصفيفها ومراجعتها وتدقيقها قد بذله الباحث الجاد الدكتور عبد الغني حروز ، فله منا كل الشكر والتقدير، وجعل الله سبحانه وتعالى ذلك في ميزان حسناته، كما لا يفوتني رفقة أخي الدكتور عبد الغني حروز أن نثني ونشكر ما قدمه الزملاء في انجاز هذا العمل و خاصة الأستاذ لخضر بولطيف و د. عبد العزيز شاكي و د. محمد عيساوي تجاه الأستاذ المرحوم وشن محمد مزيان، حيث تفضلوا مشكورين بالمجهود الكبير في استقبال المداخلات و تحويلها و مراجعتها.

سيدي عيسى في يوم الجمعة: 27 ربيع الثاني 1439هـ .الموافق لـ 14 جانفي 2018م

الدكتور همال عبد السلام.

دراسات و بحوث
في التاريخ الوسيط

حياة الإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي (384-456هـ/994-1063م)

الدكتور: عبد الغني حروز
أستاذ محاضر "أ" قسم التاريخ
جامعة محمد بوضياف المسيلة

لقد كان للعلماء دورا كبير ومتميز في الحضارة الإسلامية من خلال المشاركة في إثراء الحياة الفكرية والثقافية ،وكذا المشاركة في الحياة السياسية وغيرها.

ومن هؤلاء العلماء نجد العلّامة ابن حزم الأندلسي الذي كان فرعا شامخا من فروع المعرفة والحفظ في بلاد الأندلس، ولعل لهفة شوقنا لاختيار هذا الموضوع هو تفنن هذه الشخصية في مختلف العلوم فلم يترك علما إلا ودرسه ما عدا علم الرياضة، فكان لنا شوق لأن نتعرف على هذا العالم الذي زودنا بالكثير.

ومن هنا جاء اختيارنا لهذه الشخصية الفذة كموضوع لهذا المقال، فجاء عنوانه كما يلي: حياة ابن حزم الظاهري الأندلسي (384هـ-456هـ) (994م-1063م)

1) نسبه ومولده:

هو أبو محمد علي ابن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل[1] ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي –رضي الله عنه– المعروف يزيد الخير نائب أمير المؤمنين أبي حفص على دمشقي، الفقيه الحافظ، المتكلم الأديب الوزير الظاهري، صاحب التصانيف، فكان جده يزيد مولى لأمير يزيد اخو معاوية[2]

– كان جده خلف ابن معدان هو أول من دخل الأندلس ملك الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام المعروف بالداخل.[3]

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1994، ط10، ج18، ص 184-185.

[2] محمد المنتصر الكتاني: موسوعة التقريب: فقه ابن حزم الظاهري، القاهرة، 1992، ط1، ج1، ص12.

[3] عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي: الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف، لبنان، 1992، ج4، ط3، ص 535.

– ولد كما كتب بخط يده– بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة قبل طلوع الشمس وبعد سلام الإمام من صلاة الصبح، آخر ليلة الأربعاء، آخر يوم من شهر رمضان المعظم سنة 384هـ الموافق لـ994م،

– هذا ما كتبه بخط يده إلى احمد الحنبلي صاحب كتاب أخبار الحكماء.[4]

2) صفاته:

إن مواهب العالم هي الدعامة الأولى لطلب العلم وهي المفتاح الذي يفتح به باب المعرفة وهي الوعاء الذي ينبثق منه نور العلم.فإذا لم يؤت الله امرءا مواهب تنزع إلى العلم، وطلب الحقيقة في ناحية من النواحي فأولى به ثم أولى إن يتجه ذووه إلى أبواب الفكر الذي يتجه به إلى الصناعات والأعمال الحسية بدل أن يتجه إلى الأعمال العقلية. لكل فضل ولكل ثمرة، والجماعات محتاجة إلى نوعين من الناس فلولا العلماء الذين يطلبون الحقائق ويغوصون لإدراكها لخدمت الإنسانية على حالها الأولى من البداوة ولبقيت في أدنى معيشة، وأدنى لون من ألوان الحياة ولولا الفريق الثاني ما كثر العمران. بل ما توافرت أسباب الحياة لأي إنسان إلا إن يعيش كما يعيش المتأبد في القفار.[5]

فابن حزم قد أتاه الله من صفات ما يمكنه من فتح نور المعرفة والاستضاءة به والاتجاه معه إلى إن قضى نحبه، وكل مخايله ومواهبه تجعل منه العالم الذي فاضت بحوثه وتناقلت الأجيال كتبه وكان له لون خاص قائم به في الفكر الإسلامي وقد تميز بها ولم يشاركه فيه سواه، فقد جمع من كريم الشمائل وجمع صفات كثيرة جعلته الإنسان النبيل وأول هذه الصفات أو تلك المواهب حافظة قوية مستوعبة جعلته يستولي على أبواب العلم استيلاء.فان الحافظة القوية هي السبيل الأول الذي يمكن العالم من السيطرة الفكرية على ما يقرأ بحيث يربط أقصاه بأدناه وأوله بآخره وأجزائه ببعضها البعض، هذه الحافظة القوية جعلته يحفظ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ورتب مصادرها وأصبح من الحفاظ الكبار، بالإضافة إلى انه انفرد لوحده بمعرفة فقه الصحابة والتابعين واستخراج الأحكام.

– كان معاصروه والمؤرخون له يعجبون من قوة حافظته وعظم إحاطته وكثرة استيعابه.[6]

– فابن حزم عالم عربي أندلسي الأصل متفنن في مختلف العلوم ذات قيم جمة، فهو فقيه مشهور ومؤرخ وشاعر بارز لم يترك علم إلا ودرسه دراسة قيمة ولعل الأحوال التي سادت في عصر ابن حزم هي العامل الذي جعل لديه فكر واسع.[7]

---

[4] ابن كثير: البداية والنهاية، لبنان، مكتبة المعارف، 1991، ج11، ص91.

[5] محمد أبو زهرة: ابن حزم وحياته وعصره، آرائه وفقهه، القاهرة، دار الفكر العربي، 1978، ص 59.

[6] شهاب الدين: لسان الميزان، لبنان، دار الكتب العلمية، 1996، ط1، ص 239–240.

فالتاريخ لم يعرف من قبل عالما جمع بين ضروب العلم المختلفة، إلا أن ابن حزم وصل إلى ذلك فهو الكاتب الأديب، وله خوض في علوم فلسفية والمنطق وكان ربئا فيها كما كان جريئا في غيرها، فهو يخطي أرسطو في منطقه وينهج في المنطق منهاجا يخالفه، ويتقصى التاريخ ويدونه متحريا الحقيقة وهو بذلك المؤرخ العميق النظرة ويكتب في أدق أجزاء التاريخ وهو الأنساب، ويخرج من كل ذلك العالم المحقق المستوعب.

– وهو مع كل هذا المحدث العظيم الذي يجمع انساب الحديث، فيحفظها و إذ كان قد أخذ الناس عليه انه قد اخل عليه أحاديث فان ذلك لا يمنع عظم حفظه وإحاطته ومعرفته لأخبار الرجال وأحوالهم وهو الفقيه الذي أجبا علم الظاهر أو بعبارة أدق دلالة " أحبا علم الكتاب والسنة بين عمومها وشمولها لأحكام الأحاديث التي تجرى بين الناس مهما يتغير الزمن".[8]

– وهو فوق ذلك العالم بالملل والنحل في غير الإسلام والعلم بالفرق الإسلامية وأهل النجاة منها والعلم بوجوه الرد على غير المسلمين. والعلم بالفرق بين الفرق معرفة دقيقة، وانه لا يناقشها بطريقة الصوفية الحرة غير سائر وراء احد، ولا ملتفت لقول قاله عالم مهما تكن منزلته ما دام يخالف ظاهر الكتاب والسنة أو يأتي بقول لا يشتق منها ولا يعتمد فيه على صريحهما.[9]

كما عرف ابن حزم بتدينه وصلاحه ولقد أحسن ابن شكوان عندما أراد أن يجمع أخلاقه في كلمة واحدة فقال:" ...كان عاملا بعلمه" لقد كان رضي الله عنه متواضعا لله شاكرا لنعمه يقول في أدب العالم:" وان أعجبت بعلمك فاعلم انه لا خصلة لك فيه وانه هو موهبة من الله مجردة وهبك إياها ربك تعالى فلا تقابلها بما يسخطه فلعله ينسيك ذلك بعلة يمنحك بها تولد عليك النسيان ما علمت وحفظت.– وأبرز صفاته الوفاء الذي جعله يعيش وفيا لدينه وإخوته وشيوخه ولكل من اتصل به بل وفيا للجهاد.[10]

– هذه المزايا الفكرية امتاز بها ذلك الإمام العظيم وانه بجوار هذه المزايا الفكرية كانت عنده صفة أخرى لازمة للعلماء وهي الصبر والجد والمثابرة، لقد جد ابن حزم في طلب العلم وتحصيله وانصرف إليه بكليته ولم يجعل من نفسه فراغا لغيره.

---

[7] عبد الحميد يونس: موجز دائرة المعارف، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 159.

[8] محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 59.

[9] شهاب الدين، المصدر السابق، ص 140–141.

[10] محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، جامعة الأزهر بأسيوط، دار المعارف، ط1، 1983، ص 63.

– ومنه فقد تمتع ابن حزم بشخصية مميزة، بالرغم من أنها كانت تحمل كثير من الصفات التي عدها أعدائه سيئات استغلوها في طعنه، خاصة وان ابن حزم عاش حياة مضطربة بسبب مبادئه التي نادى بها ومذهبه الذي دافع عنه بإخلاص، حتى إن السخاوي يرجع سبب حدة ابن حزم في مؤلفاته إلى ذلك الابتلاء الذي مر به في حياته. وقد لمح ابن حزم نفسه إلى ذلك فهو يعترف بنفسه أن في نفسه" كلفا في الرضاء وإفراطا في الغضب" يمكن تعليله بالمجافاة التي تعرض لها من قومه، بتأليب الناس عليه وحرق كتبه.[11]

– يقول الحميدي" ما رأيت مثله رحمه الله فيما أجمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين". وتبدوا الصفة الأخيرة واضحة في نقش خاتمه الذي كتب عليه:

يا علي ابن أحمد اتق الله ترشد.

بالإضافة إلى كل ما تقدمنا به من صفات فقد تمتع بتفان عظيم في عرض الحق والدفاع عنه وتقواه في الحياة وورعه فيها.[12]

3)معيشته:

لم يكن ابن حزم في حاجة إلى وقت يشغله في طلب المال، بل كان موفور الرزق من ضيعات خلفها له أبوه، فقد كانت حياة أبيه حياة وزير له مال وفير، كانت له منازل في قرطبة في شرقها ومنازل في غربها وقد آلت إلى ابن حزم.

ولابن حزم منازل في بعض البلاد التي غزاها، أقام فيها مدة طويلة، أو كان ينتجعها للراحة والاستجمام، أو للقاء العلماء والأمراء.

وان العبارة التي اجمع المؤرخون عليها وهي إن القرية التي مات فيها كان ملكها أبائه ثم آلت إليه ملكيتها تدل أنه عاش موفور الرزق إلى أن انتقل إلى رحمة الله.

– وانه في جملة حياته كان يعيش في رافع العيش، وان قل نسبيا في بعض أوقات الزمان، للسجن والتغريب وعدم قيام احد على هذه الأمور ليدوم درها، أو لذهاب لبعض الدور التي كانت لأسرته في قرطبة.[13]

---

[11] مجيد خلف منشد: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، لبنان، دار ابن حزم، 2002، ط1، ص 85–86.

[12] الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء الصحابة رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوو النباهة والشعر، القاهرة، 1966، ج2، ص 230.

– وان المناقشة بينه وبين الناجي وقد كانت سنة 440هـ أي بعد السجن والتغريب ليس فيها ما يدل على أن الفقر قد نزل به أو انه نزل من عيشة الأغنياء إلى عيشة الأوساط من الناس الذين يعيشون عيش الكفاف أو أعلى منه قليلا، ويروي ياقوت في معجم الأدباء عن مناظرة جرت بينه وبين الناجي فيقول:

" وجرت بينهما مناظرة فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد تعذرني، فان أكثر مطالعاتي كانت على سرج الحراس قال ابن حزم وتعذرني فان أكثر مطالعاتي كانت على منابر الذهب والفضة.[14]

أو إن الغني أضيع لطلب العلم من الفقير.

وعليه فان هذا الخبر يتضمن الدلالة على انه لم يعش في فقر حتى سنة 440÷–1050م وإلا ذكر مطالعاته حتى الساعة التي قال فيها ذلك القول كانت على تلك المنابر.

ويدل هذا الخبر على أمر آخر يكشف عن مقدار إدراك ابن حزم لأحوال النفوس فانه بينما يرى الناجي أن توافر المال يسهل العلم.

يرى ابن حزم أن كثرة المال وطيب العيش تسد مسالك العلم إلى النفوس فلا تتجه إلى العلم، فان الجدة قد تسهل اللهو، وتفتح بابه وإذا انفتح باب اللهو تسد باب النور والمعرفة، فلذات الحياة وكثرتها تطمس نور القلب وتعمى البصيرة، وتذهب بحدة الإدراك.[15]

أما الفقير وان شغله طلب القوت فقد سدت عليه أبواب اللهو فأشرقت النفس وانبثق نور الهداية، هذا نظر ابن حزم.

أما نظر الباجي فانه متجه إلى الأسباب المادية من حيث تسهيل الحياة المادية من غير نظر إلى الأسباب النفسية التي تتضمن أن الغني يكون في كثير من الأحوال معه الانصراف عن العلم إلى اللهو وقد توفرت ذرائعه.وان ابن حزم في هذا يشبه أبا حنيفة رضي الله عنه مع فارق بينهما في أسباب الرزق فأبو حنيفة رضي الله عنه كان رجلا غنيا بتجارته وكان يفيض بكثير من أرباح هذه التجارة على الفقهاء وأهل الحديث بالكوفة، وابن حزم كان غنيا بمال أسرته التي خلفته له.[16]

---

[13] فاروق عبد المعطي، أعلام الفقهاء والمحدثين. ابن حزم الظاهري. علي بن أحمد بن سعيد الأموي الأندلسي، لبنان، 1995م، ص 27–28.

[14] بالنثيا أنخل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، 1955م، ص 76.

[15] د. فاروق عبد المعطي، المرجع السابق، ص 29.

[16] د. ياقوت الحموي: معجم الأدباء. ارثار الأريب على معرفة الأديب، دار المغرب الإسلامي، 1994، ص 12.

– وهو ضيعات ودور وقد كانت ضيعات تدر عليه موفور الرزق وأسباب العيش وأبو حنيفة لهذه الثروة التي كانت تدر عليه الدر الوفير لم يأخذ عطايا الأمراء ولا الخلفاء، لان الله سبحانه وتعالى أغناه من سعته فلا يحتاج إلى احد منهم، وكذلك ابن حزم فانه لم يأخذ العطايا من الأمراء الذين عاصروه، ولكن اختلف السبب كما اختلف سبب الامتناع، فأبو حنيفة امتنع لعدم حاجته ولأنه ما كان يوالي بني عباس من ذات نفسه، إما ابن حزم فامتنع لان الأمراء في عصره ما كان ينظر إليهم نظرة إكبار تسوغ له أن يطلب عطائهم أو يقبله، فهو وزير ابن وزير وما كان له أن ينظر إلى أمراء الطوائف أكثر من نظرته إلى من دونه أو من ليسوا أكبر منه وهم يأنفون من ذلك، ولعل هذا من أسباب عداوتهم الشديدة.[17]

4) شيوخه:

تلقى ابن حزم العلم على يد عدد كبير من العلماء، لا يمكن أن ندرسهم دراسة مستفيضة، ولكننا سنشير إلى أسمائهم مركزين على ما اشتهروا ب من علم، وما أخذه ابن حزم عنهم بالأخص، ونحيل القارئ إلى المصادر، إلا إن الأمر المهم الذي يجب أن ننبه عليه في هذا المقام هو أن تلقي ابن حزم العلم عن طريق الشيوخ مر بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: وهي التي تنتهي سنة 399هـ–1009، و الشيوخ الذين نجد ذكرهم في المصادر تغلب عليهم الصفة الرسمية، حيث كانوا يحضرون مجالس والده الوزير، فاخذ عنهم والروايات في هذا المجال قليلة جدا، ويغلب عليها الجانب الأدبي، مثل روايته عن محمد بن عيسى الوراق، أو روايته عن الاصيلي.[18]

المرحلة الثانية: وهي التي تبدأ سنة 399هـ–1009م، ونجد في هذه الفترة قد اعتنى اعتناء خاصا بالرواية والتاريخ بالدرجة الأولى ثم بعلم العقائد والأديان والعلوم الفلسفية بالدرجة الثانية، كما يوحي بذلك أخذه على يد ابن الجسور (ت 401هـ–1011م) وابن الفرضي(ت 403هـ–1103م) وعبد الرحمن المصري (ت410هـ–1020م) وعبد الرحمن الهمداني (ت 411هـ–1121م).

[17] فاروق عبد المعطي: نفسه، ص 29.

[18] مجيد خلف منشد: ابن حزم الأندلسي ومنهجه في دراسة العقائد والفرق الإسلامية، لبنان، دار ابن حزم، 2002م، ص 67.

كما بدأ مناظراته بصورة مبكرة مع أهل الأديان، كما صرح هو بذلك في المناظرة التي جرت سنة (ت 404هـ-1104م) بينه وبين ابن التعربلة اليهودي.[19]

المرحلة الثالثة: وهي التي تبدأ سنة(410هـ-1090م) عندما تحول ابن حزم إلى الاهتمام بالفقه المالكي، فدرسه على يد ابن دخوان وعلى غيره من العلماء لمدة ثلاث سنوات، وبعدها بدأ بالمناظرة.[20] مع فقهاء المالكية ليستقر على مذهبه الظاهري، وهذه المرحلة تمثل النضوج الفكري في حياة ابن حزم.[21]

واليك هذه القائمة بشيوخه:

- ابراهيم بن قاسم الاطرابلسي (لم أقف على وفاته): وهو من الوافدين إلى الأندلس، ذكر الحميدي أن ابن حزم روى عنه، ولم يشر إلى نوع هذه الرواية.[22]
- أحمد ابن اسما عليل ابن دليم، أبو عمر القاضي (ت قبل سنة 440هـ-1050م)
- أحمد بن عبد الوارث (لم أقف على وفاته): كان من أهل الأدب والفضل قال عنه ابن حزم: أنه كان معلمه.
- أحمد بن عمر بن انس الغدري، أبو العباس (ت478هـ): كان أحد تلامذة ابن حزم قبل رحيله إلى المشرق سنة (407هـ- 1017م) اشتهر برواية الحديث وطلبه، فسمع من المحدثين من أهل العراق والحزاز وخرسان والشام وعند عودته الى الأندلس، بدأ يحدث فيها فأخذ عنه ابن حزم شيئا كثيرا من الحديث، وروى عنه صحيح البخاري.[23]
- احمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن اصبغ البياني، أبو عمر (ت430هـ)وهو محدث من عائلة اشتهرت بهذا العلم، أخذ عنه ابن حزم شيئا من الحديث.[24]

---

[19] ابن خلكان: وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار البصائر، ج3، ص 325.

[20] الذهبي: سير أعلام النبلاء، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1994، ط10، ج18، ص 200.

[21] مجيد خلف، نفسه، ص 67-68.

[22] أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، القاهرة، 1966، ج2، ص 227.

[23] مجيد خلف: المرجع السابق، ص 68.

[24] الحميدي: المصدر نفسه، ص200.

– احمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الجسور[25] (ت 401هـ– 1011م): المحدث الحافظ، اشتهر بالحديث والرأي، وكان حافظ لأسماء الرجال وهو أول شيخ سمع منه ابن حزم أخذ عنه تاريخ الطبري.[26]

– احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي، أبو عمر (ت429هـ–1039م) الفقيه الحافظ المحدث، كان إماما في القراءات، أكثر الناس لرواية الحديث عنه ومنهم ابن حزم.

– البراءة بن عبد الملك الباجي، أبو عمر (لم أقف في وفاته) كان من أهل الأدب والفضل، روى عن ثابت الجرجاني، روى عنه ابن حزم، ولم تدرك المصادر نوع الرواية.[27]

– ثابت ابن محمد الجرجاني، أبو الفتوح (ت 431هـ–1041م) وقد اخذ منه ابن حزم المنطق، إذ كان مذكورا متقدما بهذا العلم، ولكنه عندما يذكره في الفصل يصفه بالملحد، وفي صفحة من كتاب " التقريب لحد المنطق" عثر عليها مؤخرا، تبين بجلاء اعتراف ابن حزم بذلك إذ يقول:" ثم قرأته (أي المنطق) أيضا على ثابت بن محمد الجرجاني العدوي، المكنى بابي الفتوح، وما رأيت في خلق الله عز وجل أعلم بهذا العلم منه، ولا أحفظ له منه، ولا أوسع فيه منه.[28]

– عبد لله بن إبراهيم بن محمد، الأصلي أبو محمد(ت 392هـ) هو من كبار أصحاب الحديث والفقه، كانت له رحلة إلى المشرق، أكثر فيها أخذ الحديث ورواياته، كان من أهل الشورى بقرطبة أيام المنصور بن أبي عامر، والظاهر إن ابن حزم سمع منه في وقت مبكر من حياته، عندما كان يحضر مجلس والده.[29]

– عبد الله بن ربيع بن عبد الله التميمي، أبو محمد (ت415هـ): كان من أهل العلم والحديث، رحل إلى المشرق فسمع من علماء القيروان ومصر ومكة، ثم انصرف إلى الأندلس ليحدث فيها، فأكثر من رواية الحديث، واخذ عنه ابن حزم سنن أبي داوود، وسنن النسائي.

---

[25] ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: محمد علي بيضون، لبنان، دار الكتب العلمية، 1998، ص 30.

[26] ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أحمد محمد فهمي، القاهرة، 1998، ج2، ص 54.

[27] مجيد خلف: المرجع السابق، ص 69.

[28] أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد: أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تحقيق: سيد كروي حسن، لبنان، دار الكتب العلمية، 1992، ص 18.

[29] مجيد خلف: نفسه، ص 71.

– عبد الله بن عبد الرحمن بن الجحاف المعافري، أبو عبد الرحمن (ت417هـ): القفيه المحدث من أهل بيت قضاء، روى عنه ابن حزم الحديث وقال عنه: " هو أفضل قاض رأيته دينا وعملا".

– عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن جهور (لم أقف على وفاته): كان من أهل الأدب ذكره ابن حزم وروى عنه.[30]

– عبد الله بن عبد الوارث (لم أقف على وفاته) ذكر ابن الآبار إن ابن حزم روى عنه، ولم يذكر نوع الرواية.[31]

– عبد الله بن محمد بن عثمان (لم أقف على وفاته) ذكره الذهبي من ضمن شيوخ ابن حزم في الحديث.[32]

– جعفر بن يوسف الكاتب (لم أقف على وفاته) وهو قرطبي كان مهتما برواية الإخبار والأشعار، روى عنه ابن حزم.

– حسان بن مالك بن أبي عبدة الوزير (ت 416هـ)، وهو من الأئمة في اللغة والأدب قال عنه ابن حزم: " أنه شيخه في اللغة".

– حمام بن احمد بن عبد الله الأطروش، أبو بكر (ت 421هـ): وهو محدث قرطبي، قال عنه ابن حزم:" فاق عصره في البلاغة وفي سعة الرواية" وقد اخذ عنه ابن حزم الحديث.[33]

– خلف مولى الحاجب جعفر الفني الجعفري، أبو سعد (ت 425هـ): كان من أهل العلم والقرءان، اخذ منه ابن حزم الحديث وبعض الأشعار.

– عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري، أبو القاسم (ت410هـ) كان حافظا للحديث وأسماء الرجال والأخبار: " مع حظ صالح من الكلام والجدل".

– عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمذاني، أبو القاسم _ ت411هـ): هو من أهل الحديث والرواية، رحل إلى العراق وخرسان وغيرها، اشتهر بالصلاح والزهد، روى عنه ابن حزم صحيح البخاري.

عبد الرحمن بن سلمة الكناني، أبو المطرف (لم أقف على وفاته) محدث قرطبي، روى عنه ابن حزم الحديث أيضا.[34]

---

[30] لجنة العلماء، محمد علي بيوض، المرجع السابق، ص 6.

[31] مجيد خلف: المرجع السابق، ص 71–72.

[32] كردي حسن: المرجع السابق، ص 18.

[33] نذير بوصبع: بنية المنهج والفلسفة عند الإمام ابن حزم، الجزائر، 2004، ص 22.

– عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف، بابن الفرضي(ت403هـ): هو الحافظ المتقن صاحب كتاب " تاريخ علماء الأندلس" رحل إلى المشرق وعاد إلى الأندلس وحدث بها، قتل أثناء دخول البربر قرطبة سنة 403هـ، أخذ عنه ابن حزم الحديث وعلم الرجال.

– عبد الله بن يحي بن أحمد المعروف بابن دحون، أبو محمد (ت 431هـ): كان من خلة الفقهاء وكبارهم، عارفا بالفتوى، حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، ذكر الذهبي نقلا عن ابن العربي، احد تلامذة ابن حزم أن هذا الشيخ كان أول شيوخ ابن حزم في الفقه، نقصد اخذ عنه الفقه سنة 410هـ، والراجح انه يقصد الفقه المالكي لأننا ذكرنا له أكثر من شيخ اخذ منه علوم الحديث والأدب قبل هذا التاريخ كما توحي بذلك حكاية اتجاه ابن حزم للفقه.[35]

– عبد الله بن يوسف بن ناجي،أبو محمد (ت 435هـ) من أهل قرطبة اشتهر بالصلاح والورع، مع إتقان الرواية اخذ عنه ابن حزم صحيح مسلم.

– عبد الله بن يوسف بن أبي زيد الأموي البلوطي، أبو محمد(لم أقف على وفاته) اكتفى ابن بشكوا بالإشارة إلى إن ابن حزم حدث عنه.

– علي بن محمد بن عباد الأنصاري، أبو الحسن (ت456هـ) من أهل اشبيلية كانت له رحلة إلى المشرق اشتهر بمعرفة الحديث ورجاله.

– الفرات بن هبة الله، أبو المجد (لم أقف على وفاته) الظاهر انه من الوافدين إلى الأندلس، روى عنه ابن حزم شيئا من الشعر.[36]

– محمد بن إسماعيل العذري، المعروف بابن فورتش (453هـ) حدث عنه ابن حزم حديثا في المحلى.

– محمد بن الحسن بن عبد الرحمن الرازي الخرساني، أبو بكر(ت بعد 450هـ) هو من تلاميذ أبي نعيم الأصفهاني (ت 430هـ) صاحب " حلية الأولياء" دخل الأندلس وحدث بها.[37]

– محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني أبو عبد الله (ت قريبا من سنة 420هـ) كان مشهورا في علم الطب والمنطق والكلام في الحكم، وهو من شيوخه في الفلسفة له مؤلفات أثنى عليها ابن حزم.[38]

---

[34] مجيد خلف: المرجع نفسه، ص 70.

[35] فاروق عبد المعطي: أعلام الفقهاء والمحدثين، ابن حزم الظاهري، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، ص 86.

[36] مجيد خلف: المرجع السابق، ص 73.

[37] نفسه، ص 74.

[38] الذهبي: المصدر السابق، ص 22.

– محمد بن سعيد بن جرج أبو عبد الله (لم أقف على وفاته): قال ألحميدي:" فقيه مشهور من أهل قرطبة، حدثنا عنه أبو محمد علي بن حزم"

– محمد بن عبد الأعلى بن هاشم المعروف بابن الغليظ، أبو عبد الله: كان من أهل العلم والأدب لم تذكر المصادر نوع الرواية التي أخذها ابن حزم عنه.

–محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكتاني، أبو عبد الله(ت 408هـ): وهو من مالقة، محدث أندلسي روى عنه محمد بن حزم.

– محمد بن عبد الله البكري الترمذي، أبو الوليد (ت 436هـ) كان على حفظه لمذهب مالك، يجمع لجانبه حفظ الحديث وأسماء الرجال.

– محمد بن عبد الواحد بن محمد الزبيدي، أبو البركات(كان حيا سنة 434هـ) ولد بمكة ودخل الأندلس وحدث بها، أكثر ابن حزم رواية الحديث عنه.[39]

– محمد بن عيسى بن محمد الوراق (ت 396هـ) قرطبي كان شديد العناية بسماع العلم وتقييد روايته، صرح ابن حزم بالرواية عنه، ولكنها قليلة جدا، وربما بسبب وفاته المبكرة، بالنسبة لعمر ابن حزم.

– مسعود بن سليمان بن ملفت الشنتريني، أبو الخيار (ت 426هـ) فقيه عالم زاهد، ظاهري المذهب، اخذ عنه ابن حزم هذا المذهب الذي اشتهر عنه، قال ابن حيان على الشنتريني " وكان داودي المذهب، لا يرى التقليد.[40]

– المهلب بن أبي صفرة الاسدي، أبو القاسم (ت 435هـ) هو من أهل العلم والمعرفة رحل إلى المشرق، وعاد إلى الأندلس وحدث بها، اهتم بالحديث فألف كتابا في شرح صحيح البخاري، اخذ عنه ابن حزم الحديث.

– هشام بن سعيد بن فتحون القيسي، أبو الوليد (ت بعد سنة 430هـ) قال عنه ألحميدي، كان محدثا جيلا، رحل إلى المشرق وسمع هناك، حدث عنه ابن حزم والحميد.

– يحي بن خلف بن نصر الرعيني (لم أقف على وفاته) اكتفت المصادر بذكر رواية اخذ ابن حزم عنه.[41]

5) طلبه للعلم والفقه:

---

[39] مجيد خلف: المرجع السابق، ص 74–75.

[40] نفسه، ص 75.

[41] فاروق عبد المعطي: المرجع السابق، ص 87.

تعلم ابن حزم في حياته الأولى ما يتعلمه أبناء الكبار من كبار الدولة من حفظ الأشعار وحفظ القرآن والخط والكتابة وكان ذلك على أيدي النساء منذ صغره، فقد قال :" تربيت وتعلمت على أيدي النساء في جحورهن وأيديهن ولم اعرف الرجال حتى الشباب".

– ولم يكتف أبوه بتعليمه مختلف العلوم، بل جعله رجلا تقيا وقورا وحصورا يلازمه ويجالسه في مجلس الشيوخ ليستمع إليهم ويتقلى عنهم ما تدركه سنه.

– من الشيوخ الذين تلقى عنهم بن حزم العلم نجد: علي احمد بن الجسور(ت 401هـ) وروى عنه الحديث، فقد جاء في كتاب طوق الحمامة ما نصه:

" وحدثنا أحمد بن الجسور عن احمد بن مطرف عن عيد الله بن يحي عن أبيه مالك[42] عن حبيب بن عبد الأنصاري عن حفص بن عاصم[43] إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد إذا خرج منه يعود إليه رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب، فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق صدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".[44]

ومنه فان ابن حزم توصل لان يحفظ علوم الحديث من الصغر، وفقهه مستنبطا لأحكام من الكتاب والسنة، بعد إن قدر له أن يكون شافعي المذهب ثم ظاهري المذهب، متشبعا بعلوم جمة زاهدا في الدنيا، متواضعا ذا فضائل وتواليف كثيرة، جمع من الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات وألف في الفقه والحديث.[45]

وقد قال ابن خلكان عن ابن حزم: "كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبط الإحكام من الكتاب والسنة، بعد إن كان شافعي المذهب فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر وكان متفننا في علوم جمة وعاملا بعلمه. زاهدا في الدنيا بعد الرئاسة التي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الملك متواضعا ذا فضائل، وجمع من الكتب في علم الحديث والمصنفات والمسندات شيئا كبيرا، وألف في

---

[42] مالك: إمام مالك بن أنس بن مالك أبو عبد الله المدني شيخ أئمة وإمام دار الهجرة.ـ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج2، ص 209.

[43] حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري من أصحاب الثقة.ـ الذهبي، نفسه، ص 209.

[44] فاروق عبد المعطي: المرجع السابق، ص 16.

[45] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار غوار معروف، لبنان، دار المغرب الإسلامي، ط1، ص 365.

فقه الحديث كتابا سماه: الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة نحل شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع".

ولعل مختلف كتاباته في مختلف العلوم دلالة على طلبه للعلم الواسع.[46]

قال الوزير أبو محمد ابن العربي.[47] أخبرني بن الشيخ الإمام أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه انه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه فدخل المسجد قبل صلاة العصر والخلق فيه فجلس فلم يركع فقال له أستاذه يعني الذي رباه بإشارة إن قم فصل تحية المسجد فلم يقم، فقال بعض المجاورين له " أبلغت هذا السن ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة" وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عاما، فقال قمت وركعت وفهمت إشارة الأستاذ إلي بذلك.

قال فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة الأحياء من قرابة الميت دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل له اجلس اجلس ليس هذا وقت الصلاة، فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ما هانت علي به نفسي.

– وقلت لأستاذي دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون فدلني فقصدته من ذلك المشهد، وأعلمته بما جرى فيه وسألته بالابتداء بقراءة العلم واسترشدته فدلني على كتاب الموطأ لمالك بن انس رضي الله عنه، فبدأت بقراءته من اليوم الثاني أذلك اليوم ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام وبدأت المناظرة.[48]

فهذا السبب الذي كان حافزا لابن حزم في دراسة علوم الفقه.

– وكان ابن حزم في منتهى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم في الكتاب والسنة والمذاهب، فقد كتب في مختلف العلوم دون الرياضة.

– تميز هذا الرجل بالصدق، الديانة، الثروة الكبيرة، الكتب الأكثر.

قال الغزالي:" وجدت في أسماء الله كتابا لأبي حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه".[49]

---

[46] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، لبنان، دار البصائر، د ت، مج 3، ج3، ص 318.

[47] ابن العربي العلامة القاضي الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الاشبيلي ولد 468هـ، رحل إلى المشرق وسمع من طراد الزيني، كان متبحرا في العلم.ـالذهبي، تذكرة الحفاظ، ج2، ص302.

[48] ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب في معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1993م، ج4، ص316.

[49] الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ابنان، دار الكتب العلمية،

وقال صاعد أيضا:" كان ابن حزم اجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والإخبار، اخبرني ابنه الفضل انه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو 400 مجلد".[50]

– وقال الحميدي " كان حافظا للحديث – السنن– وفقهها، مستنبطا لأحكام من الكتاب والسنة، متفننا في علوم جمة، عاملا بعلمه ما رأينا مثله فيما اجتمع له من ذكاء وقدرة الحفظ والتدين وكرم النفس.[51]

– ويقول أيضا أبو الحسن ابن القطان عن المجتهد ابن حزم:

" أبو محمد ابن حزم الحافظ الفقيه على مذهب أهل الظاهر برع في الفقه والحديث والتاريخ والآداب وهو من بيت الوزارة، ووزر نفسه لبعض الملوك في الأندلس ثم تخلى عن ذلك لطلب العلم والانفراد به".[52]

– ومن ابرز ما اشتهر به ابن حزم الشعر حيث قال الشعر وهو في فراش الموت.

– وقد قال عنه الكثير من العلماء بأنه كان صاحب لسان خبيث ويقع في حق العلماء الأعلام حتى صار مثلا فيقال" نعوذ بالله من سيف الحجاج ولسان ابن حزم"، كان له شعر جيد فمن ذلك نجد:

قوله: لئن أصبحت مرتجلا بجسمي فقلبي عندكم أبدا مقيم

ولكن للعيان لطيف معني له سأل المعاينة الكليم.[53]

– وما زاده انصرافا إلى العلم وتدوين ما في صدره من جديد هو إحراق كتبه، وبعد ذلك أوى إلى مزارعه في ليلة، واستمر بها يؤلف ويذاكر التلاميذ إلى إن مات وينند بالإحراق وفاعليه في شعر لاذع، ويعود سبب هذا الإحراق إلى تأليب الفقهاء عليه، وتحريضهم الأمراء، والغريب في الأمر أن المعتضد

د ت، ط1، ج 2، ص 360.

[50] أحمد بن المقري التلمساني، النفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار البصائر، ط1، 1988م، ، مج2، ص 77.

[51] شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان ميزان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1996، ص 239.

[52] أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي: طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، ابراهيم الزيبق، لبنان، ط2، 1996، ج2، ص 31.

[53] يوسف بن التغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد شمس الدين، لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 1992، ج 3، ص 75.

قام بإرضاء الفقهاء، وقد تجاوز حد الإرضاء إلى ما يشبه الانتقام لشخصه لا لغيره. وتجلى ذلك في إحراق كتب ابن حزم.

وبعد ذلك انصرف ابن حزم إلى الله ليعبر عن همومه وأحزانه فلم يجد سبيلا لترك الهم والحزن خيرا من ذلك.[54]

6)رحلاته:

من المهم أن نبين رحلات ابن حزم في حواضر الأندلس، التي تشكل أهمية في تتبع ثقافته وسيرته، والتي لا بد أن تكون قد أسهمت إسهاما جديا في تكوينه الفكري، وفي الوقت الذي توضح لنا نشاط ابن حزم السياسي وتفاعله مع مجتمعه خصوصا وانه زار الكثير من مدن الأندلس، كما يتضح من قول ابن شكوال " تجول بالأندلس".[55]

غادر ابن حزم قرطبة لأول مرة في محرم سنة 404هـ بعد تغلب البربر على هذه المدينة واتجه إلى مدينة المرية، وأقام فيها، وفيها تلقى بابن النغريلة اليهودي في السنة نفسها.[56] وكانت هذه المدينة تحت سيطرة خيران العامري،[57] حيث دخلها في سنة 405هـ، وبقي فيها ابن حزم حتى سنة 408هـ حينما اتهمه خيران العامري بالدعوة إلى الدولة الأموية فحبسه أشهرا ثم أطلق سراحه فرحل إلى حصن القصر[58] وقد طابت إقامته في هذا الحصن، إلا أنه سرعان ما غادره في السنة نفسها إلى مدينة بلنسية[59] بعد أن دعا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الناصر لنفسه ولقب بالمرتضى سنة 404هـ.[60]

---

[54] أبو زهرة، المصدر السابق، ص 27–28.

[55] ابن شكوان: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: عزة العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي،ط1، 1955، ص 380.

[56] ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد محمد فهمي، القاهرة، 1948، ج1، ص 245.

[57] خيران العامري: أحد الفتيان العامريين الذين استطاعوا الفرار من الفتنة في قرطبة والسيطرة على شرق الأندلس، اشتهر بالشجاعة، سيطر على مرية ومدسية سنة 403هـ، توفي 419هـ.ابن حزم، نفسه، ص 27.

[58] يقع في الجنوب الغربي من اشبيليا. ــ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج4، ص 249.

[59] بلنسية: تقع شرق الأندلس وهي قاعدة من قواعد الأندلس في مستر من أرض عامرة القطر لها أربعة أبواب وهي من أمصار. ــ الحموي: مصدر نفسه، ج4، ص 250.

[60] ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القاهرة، 1939 رقم1، مجلد 1، ص 121.

وقد اشرنا في عصر ابن حزم إلى هذه الإحداث التي انتهت بهزيمة جمع المرتضى على يد زاوي بن زيري أمير صنهاجة وكان ذلك في أواسط سنة 409هـ ووقع ابن حزم أسيرا لدى هذا الأمير، الذي سرعان ما منّ على ابن حزم فأطلق سراحه فاتجه إلى قرطبة حيث دخلها في شوال سنة 409هـ.[61]

وهكذا نجد ابن حزم يعود إلى مدينة قرطبة، وكله حماس لإصلاح الوضع المتردي الذي تمر به هذه المدينة، فبقي فيها حتى بيعة عبد الرحمن بن هشام المستظهر في 16 رمضان 414هـ فكان ابن حزم احد وزرائه، إلا إن بقاء المستظهر في الحكم لم يدم طويلا، فعندها قتل بعد سبع وأربعين يوما، زج بابن حزم في السجن، وبعد خروجه من السجن رحل عن قرطبة لنجده في مدينة الشاطبية، ولا نعلم أن كان قد ذهب إليها مباشرة أم مر بغيرها من مدن الأندلس؟[62]

– وبقي فيها هشام بن محمد بن عبد الله الملقب بالمعتد بالله في ربيع الأول سنة 418هـ فعاد ابن حزم إلى قرطبة ليكون احد وزراء المعتد، وهذه الرواية تفرد بنقلها صاعد الأندلس ونقلها عنه فيما بعد الحموي، وتغفل باقي المصادر عن ذكرها ويبدوا أن دور ابن حزم فيها كان ضئيلا، لان المعتد بالله نفسه لم يكن مهتما بالأمور في قرطبة وكان ذلك سببا رئيسيا في إشارة العامة عليه وطرده منها سنة 422هـ والظاهر إن هذا التاريخ هو نهاية المطاف السياسي في حياة ابن حزم.[63]

– والى هذه النقطة نتوقف في تتبع رحلات ابن حزم، حيث لا تسعفنا المصادر في وضع جدول متسلسل للمدن التي زارها بعد هذا التاريخ ولكن نعلم أن رحل إلى القيروان من مدن المغرب العربي في منطقة الثغر الاندي في الأندلس.[64]

– وفي مدينة سرقسطة ودخل إلى جزيرة ميورقة[65] سنة 430هـ وهناك حدثت مناظرة بينه وبين أبي الوليد الباجي[66] وعدد آخر من فقهاء المالكية وقد أدى ذلك إلى سجنه واستهانته.

---

[61] ابن حزم، نفسه، ج1، ص 246.

[62] ابن سعيد علي بن موسى: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1964، ج1، ص 55.

[63] زكريا إبراهيم: ابن حزم الأندلسي، بيروت، 1966، ، ص33.

[64] ابن حزم: المحلى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، د ت، ج3، ص 182.

[65] ميورقة: هي أكبر الجزر التي تقع شرق الأندلس، فتحها المسلمون سنة 290هـ. ــ زكريا إبراهيم: نفسه، ص 34.

[66] أبي الوليد الباجي، سليمان ابن خلف الباجي، الفقيه، الحافظ المالكي، كانت له رحلة إلى الشرق، ناظر ابن حزم وأفهمه، توفي سنة 474هـ. ــ ابن شكوان: الصلة، ج2، ص 317.

– فيرحل ابن حزم إلى اشبيلية بعد ذلك وأميرها المعتد بن عباد زلكنه تعرض هذه المرة لمحنة جديدة تمثلت في إحراق كتبه وتمزيقها علانية ويغادر اشبيلية وهو يردد قصيدته والتي نظمها عند الخروج منها:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة *** ولكن عيبي أن مطلعي المغرب.

وهكذا اضطر ابن حزم تحت ضغط هذه المحن للعودة إلى قرية أجداده " منت ليثم" في غرب الأندلس من بادية لبلة حيث بقي فيها إلى إن توفي رحمه الله سنة 457هـ.[67]

7)وفاته:

عاش ابن حزم واحد وسبعين سنة وعشر أشهر وتسعة وعشرين يوما ونجده قد أمضى أيامه الأخيرة في قريته غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم وهو مطارد منفي حتى أراد له الله الطمأنينة حيث لم تلبث هذه الشخصية المكافحة إن سكنت روحها، فاستراح إلى الأبد في قريته بالبادية واستأثر الله بروحه في 28 شعبان من سنة 456هـ–1063م، ودفن بقريته " منت لشم" والتي كانت ملكه وملك آبائه.[68]

– لقد أمضى ابن حزم السنوات الأخيرة من حياته في كفاح ونضال ومرارة ونفي وإيذاء وتشريد صابرا محتسبا كما ذكر ياقوت الحموي في معجمه فقال قال: أبو مروان بن حيان".... وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طبائعه وبذل بأسراره واستنادا على العهد الذي أخذه الله من عباده لتبينه للناس ولا يكتمونه فلم يلطف صدره بما عنده بتعريض ولا برقة بتدريج بل يصك به معارضيه صك الجندل وينشقه متلفع انشقاق الخردل فنفر عنه القلوب وتوقع به الندوب حتى استهدف الى فقهاء وقته فمال على بعضه ورد أقواله فاجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه وطفق الملوك يقصونه عن قربهم وسيرونه عن بلادهم إلى إن انتهوا به منقطع اثر بتربة بلده من بادية ليلة بها توفي رحمه الله سنة 456هـ...".[69]

---

[67] جلال الدين عبد الرحمن: طبقات الحفاظ، لبنان، دار الكتب العلمية،ط2، 1994م، ص435.

[68] ابن شكوان: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: عزة العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1955، ط1، ص 366.

2 ياقوت الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب والمعروف بمعجم الأدباء أو طبقات الأدباء، تحقيق: بن مريلوث، ط2، مصر، 1928، ج5، ص ص 92–93.

– ويقول الصاعد في ذلك " ... ونقلت من خط أبي رافع أن أباه توفي رحمه الله عشية الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ستة وخمسين وأربع مئة فكان عمره رحمه الله إحدى وسبعين سنة".[70]

وحول هذا نورد أبيات كتبها ابن حزم وكأنه يطلع في صفحة الغيب يقول:

كأن بالزوار لي قد تبادروا وقيل لهم أودي علي ابن أحمد

غيارب محزون هناك وضاحك وكم ادمع تذرى وخد مخدر

عفا الله عني يوم أرحل ضاعفا عن الأهل محمولا إلى ضيق ملحد

وأترك ما قد كنت مغتبطا به وألقى الذي أنسيت فهو بمرصد

غورا حتى إذا كان زادى مقدما ويا نصيبي إن كنت لم أتزود[71]

خلف من بنيه غير ابن رافع، أبا أسامة يعقوب، وأبا سليمان، فنشروا معارف أبيهم وحفظوها جهد طاقتهم.

خاتمة: يعتبر ابن حزم من علماء وأعلام الفكر العربي الإسلامي الذين عملوا على إقامة كيان خاص بالتاريخ الإسلامي فهو أعظم عقلية مبدعة ظهرت في الأندلس، فحياته هي صورة لحياة الأندلس وتاريخها في تلك الفترة التي عاشها.

فقد رأى بعينه سقوط الخلافة الأموية وكثرة الفتن في تلك الفترة جعلت ابن حزم يبكي في نثره وشعره وذلك لما أصاب قصور الخلافة في قرطبة من خراب ودمار.

– فهدفنا من خلال هذا البحث هو رسم صورة واضحة ودقيقة عن ابن حزم، ذلك بقدر ما تسعفنا المصادر والمراجع.

– إنها صورة يسيرة رائعة من صور الأخلاق للعلم والفناء في الحق في ذلك العصر الذي مسحت فيه صور وتحطمت فيه المثل، إنها الصورة العلمية التي تفننت في مختلف العلوم ما عدا علم الرياضة.

– فابن حزم لم يترك علم إلا ودرسه وتفنن فيه وهذا ما أدى إلى تعدد مصنفاته حيث وصات إلى أربع مائة مصنف إلا أن بعضها تعرض لإتلاف والإتلاف وأهمها كتاب الفصل في الممل والأهواء والنحل.

---

[70] صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، بيروت، 1912، ص 70.

[71] الإمام أبي المزايا محمد إبراهيم أحمد بن جعفر الكتاني الحسين: الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، 1425هـ، ص 99.

- وأخيرا نقول أن ابن حزم ارتقى مكانة مكانة ممتازة في حياتنا العلمية وفي تاريخنا العلمي وهي مكانة جديرة بالرعاية والدراسة والتأمل والتدبر، وعلينا أن نشيد بها ونتوجه إليها ونخوض على إبرازها، والحياة الأندلسية التي ينتمي إليها ابن حزم جديرة كلها بكل رعاية ودرس عميق ودائب ومتصل، إنها فترة منقطعة من التاريخ الإسلامي.
- وهذا البحث الذي قدمناه عن ابن حزم هو مساهمة في تحقيق هذا الهدف حاولنا فيه أن نعرض صورة ابن حزم كرجل نبين ملامحه النفسية وسماته الروحية.

لقد برز ابن حزم في قائمة المؤرخين الأندلسيين، كما كانت كتبه من أهم الكتب التي اشتهرت في المكتبات.